# لماذا تحولت الصين من الإنذارات .. إلى الغارات ؟

## الاحتمالات والتساؤلات فى آسيا

بقلم : أحمد طلعت

**التوتر العسكرى ـ الحاد ـ الذى تشهده مناطق الحدود السوفيتية الصينية الان ، ليس توترا عابرا بمناسبة الحرب الصينية الفيتنامية ، فان الكثيرين من خبراء الشئون الاسيوية يرون أن بكين وموسكو ـ كلتيهما ـ تتوقان منذ سنوات الى أن تؤكد كل منهما للاخرى أنها لاتنوى التنازل عن السيادة فى كل مجالات ـ وجبهات ـ المواجهة بينهما ، كما ان كلا منهما تتوق الى ان تبين للاخرى مدى عزمها على كبح جماح الاخرى ، على المستويات الايدلوجية والسياسية والعسكرية**

ولقد شرع العملاقان الشيوعيان ، فى التخلى عن ضبط النفس ، أحدهما ازاء الاخر ، منذ عام ١٩٧٨ ، الذى شهد الكثير من الخطوات المتبادلة ـ والمحسوبة ـ فى بكين وموسكو لتجميع الاصدقاء ، واستقطاب ـ أو تحييد ـ الاعداء ، وكشف الستار عن نوايا كل منهما ازاء الاخر بوضوح .

**وفى الشهور الستة الاخيرة من العام الماضى ، بدأت الصين بتوقيع اتفاقية صداقة وتعاون مع كمبوديا ، التى كان يحكمها نظام لايتبادل الود مع فيتنام التى يؤيدها السوفيت .**

**ثم خرج الرئيس الصينى ـ هوا كو فنج ـ ونائبه تنج شياو بنج وغيرهما من المسئولين الصينيين ، فى سلسلة من الزيارات الودية ، واقامة جسور التفاهم مع دول اخرى ، مما اعتبره السوفيت محاولة لتنظيم جبهة معادية لهم ، وشملت هذه الزيارات كوريا الشمالية ، وتايلاند ، وبورما ، وكل دول اوروبا الغربية ورومانيا ويوغوسلافيا وايران .**

**ثم وقعت الصين اتفاقيتين تجاريتين مع السوق الاوروبية واليابان ، ثم جاء على قمة هذه الحملة الدبلوماسية ، تبادل الاعتراف ـ والعلاقات الطبيعية ـ بين بكين وواشنطون .**

هذا من ناحية الصين ، أما من ناحية الاتحاد السوفيتى ، فقد شجعت موسكو الانقلاب اليسارى فى أفغانستان وتشجيع الاضطرابات فى باكستان ، ثم توقيع معاهدة الصداقة والتعاون مع فيتنام ، ومن بعدها تشجيعها فى غزو كمبوديا ومساندتها فى السيطرة الفعلية على لاووس .

فى نفس تلك الفترة رفضت موسكو وبكين ـ كلتيهما ـ العروض التى تبادلت العاصمتان تقديمها الانهاء ـ أو تجميد ـ نزاع الحدود بينهما . وبينما لجأت الصين فى بياناتها الى تجاوز العبارات التى تطالب فيها بالاراضى الواقعة بين نهر أمورى وحتى بحيرة بايكال ، وتبلغ مساحتها نحو ٤٦٠ الف ميل مربع ، لجأ السوفيت الى الزعم بأنهم لا يحشدون أية قوات غير عادية على حدودهم مع الصين ، على الرغم من ان الرئيس السوفيتى بريجنيف ، كان قد اصطحب وزير دفاعه ، ورئيس أركان حربه ، فى جولة غير عادية ـ فى مارس الماضى ـ طاف فيها بسيبيريا ومناطق الحدود مع الصين ، ثم رفض طلبا صينيا بأن يسحب الاتحاد السوفيتى قواته من نفس هذه المناطق !

وحينما كشفت تقارير مؤسسات الدراسات الاستراتيجية فى الغرب ان العملاقين الشيوعيين يحتفظان فى مناطق الحدود بينهما بنحو ثلاثة ملايين جندى ، وعدة الوف من المدرعات ، والاساطيل الجوية والصواريخ النووية ، أكدت التحليلات الغربية ان الصراع فى « القرن الاسيوى » قد أصبح على الابواب .

**وأكدت التحليلات ايضا ان الصراعات فى تلك المنطقة لن تكون اسيوية فقط ، لان تشابك المصالح ، وتبادل التأثير ، بين مختلف جبهات ومجالات التوازن العالمى ، يحتم على القوى العالمية ـ غير الاسيوية ـ أن تنشغل بكل ما يجرى فى القارة المضطربة .**

● فمن البديهى ان التوازن بين الصين والاتحاد السوفيتى أمر يشغل دول اوروبا الغربية ، التى تقع على الجناح الغربى المقابل للاتحاد السوفيتى ،

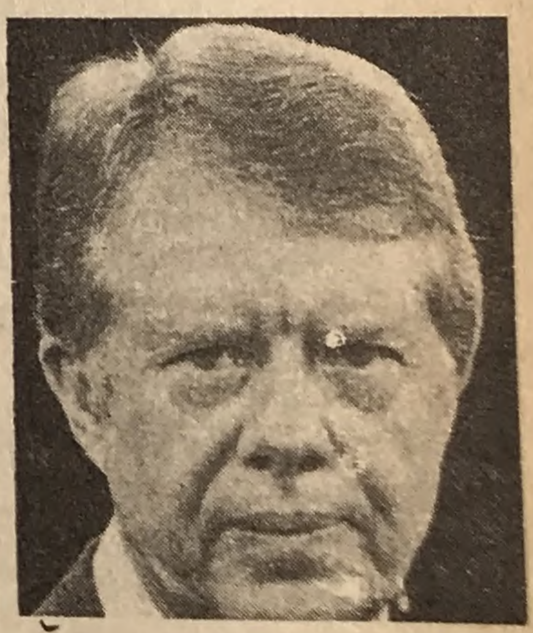

● جيمى كارتر ●
مشغول بأحداث اسيا

● جيمس كالاهان ●
كيف تتصرف أوربا

● فان ثيو ●
اخر ديكتاتور فى فيتنام

وأى ضغط صينى على جناحه الشرقى يعنى تخفيف الضغط السوفيتى فى اروبا الغربية ، والعكس ايضا صحيح ..

● ومن البديهى ان التوازن الصينى السوفيتى يشغل الولايات المتحدة بدرجة لا تقل عن انشغال اليابان أو الهند ، أو الدول الاسيوية المتوسطة من بنجلاديش حتى باكستان وايران وتركيا ، وكذلك معظم الدول العربية .

واذا كان يمكن للصين بعد ان تستكمل برامج تطويرها الصناعى والعسكرى ، ان تتحول الى مصدر تهديد للنفوذ الامريكى ـ اليابانى فى المحيط الهادى ، فان هذا الاحتمال لا يمنع الولايات المتحدة واليابان وأوروبا الغربية ، من مواصلة برامج تطوير الصين ـ ومساعدتها فيها ـ لانها ستظل خلال عملية التطوير هذه عامل كبح للمطامع السوفيتية فى المحيط الهادى ، وأماكن أخرى من العالم .

ويسرف البعض فى الخيال ، فيتصورون احتمال تحالف أمريكى سوفيتى ، عندما تستكمل الصين عملية تطويرها بحيث تصبح ماردا يحسب حسابه ، كحلقة جديدة ـ ومثيرة ـ فى لعبة التوازن العالمى فى المستقبل .

ومع تزايد العمليات العسكرية بين الصين وفيتنام ، وما نشهده من حشود واستعدادات عسكرية على الحدود الصينية الفيتنامية ، وتحركات للاساطيل القوية فى البحار القريبة ، فان هناك أسئلة كثيرة تبحث الان عن اجابات ، أو مجرد توقعات ، ومن هذه الاسئلة مثلا :

● هل ينتهز السوفيت الفرصة لتوجيه ضربة اجهاض الى القوات النووية والصاروخية ، وقواعد الصناعات الكبرى فى الصين ؟ ..

● وكيف يكون رد الفعل الامريكى ـ والغربى ـ ازاء مثل هذه الضربة ؟ .. وهل يدخل الغرب حربا نووية الى جانب الصين للتخلص ـ كمرحلة أولى ـ من الاتحاد السوفيتى ، أم ينصحون السوفيت بالاكتفاء بالقصف النووى دون محاولة احتلال الاراضى الغنية بالصناعة والموارد الطبيعية فى شمال الصين ؟ ..

● وهل ترد الصين ـ اذا ما تلقت مثل هذه الضربة ـ بقصف ما تستطيع صواريخها المتوسطة ان تصل اليه من قواعد ومراكز سوفيتية قريبة من حدودها .. أم تكتفى باطلاق الانذارات واذاعة البيانات ؟!

والاحتمال الغالب ـ حتى الان ـ فى أذهان المحللين السياسيين هو أن الاتحاد السوفيتى سوف يكتفى بارسال مساعدات قوية الى فيتنام لوقف الهجوم الصينى ، وردع القوات الصينية التى توجه الان أكبر اهانة للنفوذ السوفيتى بضربها فيتنام ـ بعد شهور قليلة ـ من توقيع معاهدة الصداقة والتعاون بين هانوى وموسكو .

الا ان هذا الاحتمال ـ ايضا ـ تحوطه أسئلة ـ وتساؤلات ـ منها :

● هل تتضمن هذه المساعدات تدخل قوات سوفيتية فى القتال مباشرة ضد الصين ، انطلاقا من قواعد فيتنامية ـ برية أو بحرية ـ وكيف يكون رد الفعل السوفيتى اذا ضربت الصين هذه القوات السوفيتية ؟ ..

● وهل تنتهز دولة ـ مثل الهند مثلا ـ مثل هذه الفرصة للثأر لهزيمتها أمام الصين فى اشتباكات عام ١٩٦٢ ، وانتزاع الصين لاجزاء كبيرة من أراضى الحدود والمحميات الهندية حينذاك ؟ ..

والى جانب هذه الاحتمالات ـ والتساؤلات ـ تقول الانباء ان السوفيت ، الذين يسيطروة سيطرة فعلية وعسكرية على منغوليا ، يحشدون داخل أراضيها المطلة على سهول الصين الوسطى والشمالية ، جانبا كبيرا من قواتهم التى دفعوا بها الى الحدود مع الصين ، ربما لتخويف بكين بعد هجومها على فيتنام ، وربما لاستخدام أراضى منغوليا لمنصة انطلاق لقواتهم اذا فكروا فى غزو شمال الصين .

والا يبدو لمنغوليا حيلة ازاء ما يعطيه السوفيت لانفسهم من حقوق « الصداقة والتعاون » ذلك ان منغوليا كنصف دائرة بين « القارة السوفيتية » و « القارة الصينية » وليس لها متنفس خارجى ، حتى فى سماواتها التى تسيطر عليها مقاتلات العملاقين الشيوعيين وصواريخهما .

ولقد يكون ما يجرى فى اسيا ـ بين الصين وفيتنام ـ بعيدا عن اهتمامنا ، لولا انه يكاد ان يتكرر فى مناطق قريبة منا ، جنوب الجزيرة العربية مثلا ...

احكم رتاج بابك الجنوبى .. تمتنع الريح عن نعيك الشمالى !
حكمة صينية »

الموقف فى اسيا ـ عن الاهرام القاهرية